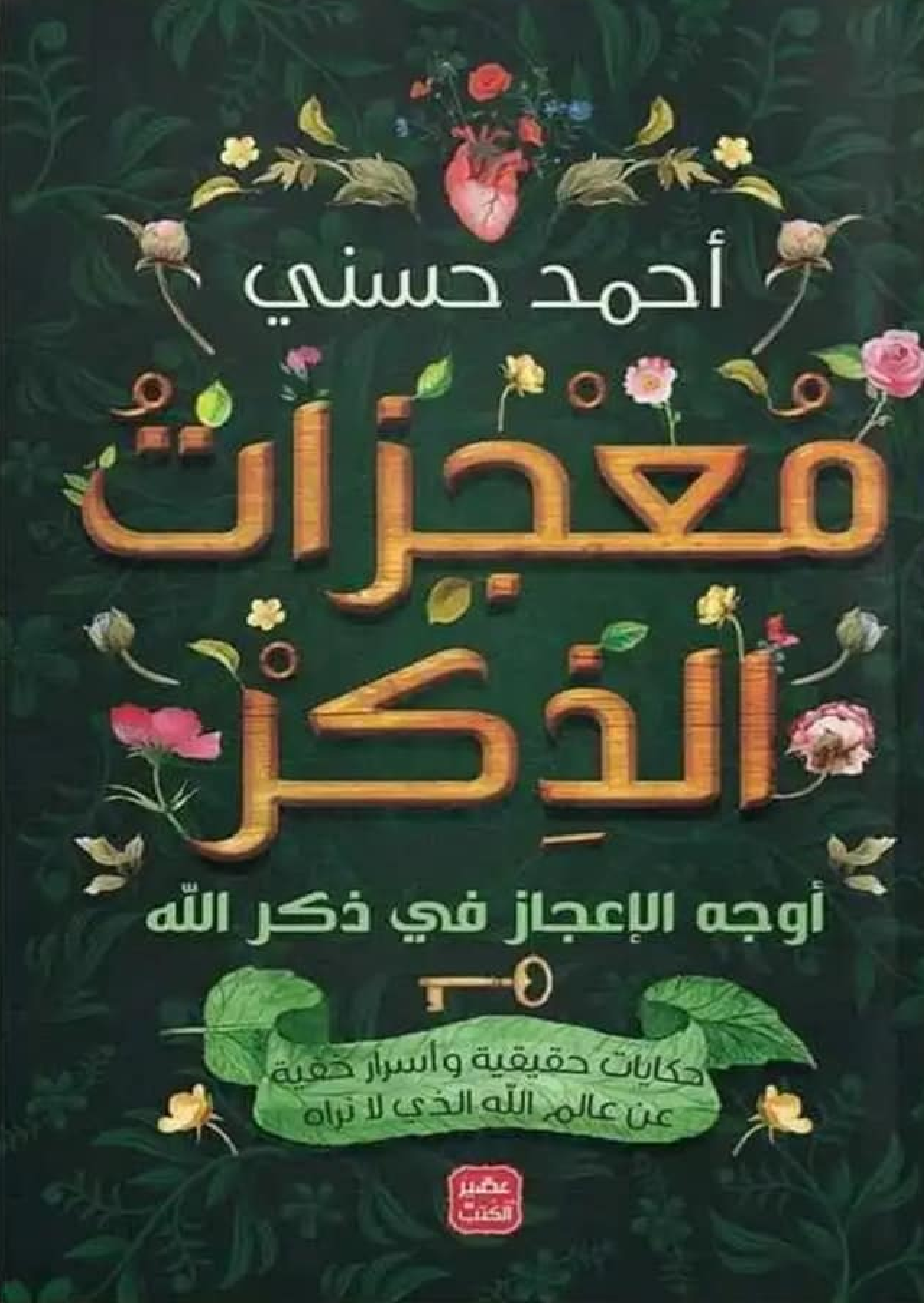


أحمد حسني
معجزات الذِكر
أوجه الإعجاز في ذكر الله
حكايات حقيقية وأسرار خفية
عن عالم الله الذي لا نراه
عصير الكتب

إهـــداء

أهدي أجر هذا الكتاب إلى أبي رحمه الله الذي عانى طيلة حياته الصعبة، وكنتُ أتألم من أجله، تمنيتُ لو أني عادت بي الأيام وفَهمتُ سر عالم الله الخفي، وسلاح الأذكار لأخبره به فتُفرَج همومه.

إلى أمي الحبيبة التي كانت حجر الأساس في تقرُّبـي من الله، ومعرفة أبسط الهدي عن قيمة الذكر.

إلى زوجتي التي طالما آمنت بي رغم ما خالجني من لحظات يأسٍ لم تطل! وأخبرتني أنها على يقين أنني سأكون يومًا ما رجلًا يتحدث عنه الناس بكل خير.

إلى ابني «يونس» الذي أتمنى أن يربيه الله على عينه ذرية صالحة، ويقرأ ما في هذا الكتاب عن أسرار القرب من الله وذكره ومعيته فيحيا حياة طيبة ويرزق حسن خاتمة.

إلى إخوتي الذين أحبوني بصدق وأحبوا لي الخير فأحببت أن يكون هذا الكتاب سبب تفريج همومهم ومتعتهم في الحياة.

أهدي أجر هذا الكتاب إليك أنت يا أخي وأختي في الله، يا من تقـرأ كلماتي يا من أتعبتك الذنوب وصـرت ضحية ما تبعها من الهموم، إليك أهدي هذا السر العظيم الذي سيغير مجرى حياتك وحياة الكثيرين ممن تعرف.

إلى متابعيّ الذين هم أبطال كتابي بقصصهم المُدهشة الممزوجة بطعم الأمل أسأل الله مُخلِصًا أن يكون صدقة جارية لي ولكم بعد وفاتنا.



مَـا لِـي سِـوَى قَرْعِـي لِبَابِـكَ حِيلَةٌ   فَلَئِـنْ رُدِدْتُ فَـأَيَّ بَـابٍ أَقْـرَعُ

وَمَـنِ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْـمِهِ   إِنْ كَانَ فَضْلُـكَ عَـنْ فَقِيـرِكَ يُمْنَعُ

حَاشَا لِفَضْلِكَ أَنْ يُقَنِّطَ «عَاصِيًا»   فالْفَضْـلُ أَجْزَلُ وَالمَوَاهِبُ أَوْسَـعُ

مقدمة

إلى أولئك المُسرفين على أنفسهم الذين غرقوا في بحر من المعاصي والأوهام والضلالات، حتى قنطوا من رحمة الله إلى أولئك الذين أثقلَتْهم الهموم؛ سلامٌ على أرواحكم المُنهكَة ورحمات من الله وبركات ورسائل أمل تُحييكم من جديد بأسرار من عالم الله الخفي بما لم تحيطوا به خبرًا.

الحمد لله الذي رزقني من العلم والفَهم ما هداني بما في عالَمه الخفي من أسرار وبشريات يَشفي بها ما كان يمرض صدري، وبإذنه سيشفي ما فيك وصلِّ اللهمَّ وبارك على خير المُرسلين ورحمة الله للعالمين أما بعد..

إليك هذه الكلمات أمسح بها بلطف على قلبك، يا كل مهموم حائر مشتاق لشفاء ما بقلبه المرهق من مقلقات ووساوس أمرضته وأسقي بها روحك لتثمر من جديد، يا كل باحث عن السعادة والمتعة في هذه الدنيا ومن بعدها الجنة.

قبل أن أسوق لك أكثر من 100 قصة حقيقية تسحر العقل وتأخذ القلب وتمضي بروحك بعيدًا تمامًا عن هذا الظلام الذي تعيشه إلى جنة في الدنيا يعيشها بعض الناس، ولكنها خفية عن الكثيرين فلا يدخلها إلا من استدعى قوة الله الخفية ليدخلها بها، والتي هي أقوى من القوى المادية التي نراها بأعيننا ولكن أكثرنا لا يعلمون.

قصص حقيقية من أناسٍ لا هم من الأنبياء، ولا هم صحابة، ولا شيوخ، ولا أولياء أصحاب كرامات، أناسٌ مثلي ومثلك ومثل بني آدم «خطّاؤون» ولكنهم حققوا ما تمنوا من معجزات باستدعاء قوة الله الخفية، لما فهموا أسرار عالمه الخفي مستخدمين «الأذكار» كوسيلة للوصول إلى هذه «الأسرار» التي حققت أمانيهم.

وقبل أن أسوق لك من الخواطر والصور والعبر والآيات والأحاديث ما يكشف عنك غطاءك بالتفصيل والإيضاح والبراهين التي يثبت الله بها فؤادك.

قبل ذلك لن أقول لك: أعطني سَمعك، بل سأقول لك: «أعطني قلبك»، نعم «إن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح سائر أمره، وإن فسدت فسد سائر أمره»، كما قال الحبيب؛ فاسمعني بقلبك لينصلح ما فيه فتنصلح كل أمورك. واعلم أني والله الذي لا إله إلا هو جليس خير محب لك في الله.

واعلم أن هذه الصفحات كلماتها نسيج من نور سيشع في روحك خواطرها تكمل معاني قصصها، وقصصها تكمل معاني خواطرها في روحك، وإن فيها طوقَ النجاة لقلبك الغريق بفكر إسلامي جديد يحدثك بعمق عما خفي من تفصيل عن وسائل توفيقك في أمور الدنيا، وحتى الطاعات، وبأسرار بين سطور الدين الإسلامي لم يحدثنا بها أغلب علماء المسلمين الأجلاء.

ولتكتمل فكرة هذا الكتاب وتتعمق في قلبك فلا تختر فيه ما تقرؤه أو تتركه واقرأه كاملًا.

لن تجد لهذا الكتاب أبوابًا ولا فصولًا ولا ترقيماتٍ أو أسماء مراجع أو حواشي، لعدم الإطالة والتبسيط، وللحفاظ على شعور الدفء بيننا فهو حديث من قلبي إلى قلبك كما لو كانت جلسة صدق بيننا كلماتها بسيطة ترتيبها بناء على أفكار ومشاعر أبنيها داخلك تجر بعضها بعضًا، وإنني قصدت فيه أن أضرب لك الأمثال بقصص أقصصها لك عن نفسي وعن غيري، كلها حقيقية ولكنها عجيبة متبعًا بذاك نهج القرآن العظيم في النصح «فاقصص القصص لعلهم يتفكرون»، فالقصص محببة لبني الإنسان بالفطرة وتدعوه للتفكر.

راجيًا إياك أن تعيش كل معنى وكل قصة «وكأنها قصتك أنت» لتعتبر منها وتقتدي بأصحابها وقد تجدني كررت لك خاطرة في مقال آخر من الكتاب، وذلك لإكمال المعنى وتذكيرك به ولسوف أكثر من حديثي معك في أول الكتاب أكثر من القصص نفسها لأصل معك لعمق المعنى الذي أرجوه في أسرع وقت، ثم يَقِل حديثي معك وأتركك لتعيش القصص أكثر مقاطعًا إياها من وقت لآخر بخواطر ودٍّ تُعمِّق عندك شعورًا، أو تُوضح لك مفهومًا يكون لك كدليلٍ على طريق الوصول إلى ما ترجو!

حينها رأيت نور الله!

دخل من باب بيته كعادته أول ما كان يهفو إليه قلبه المنكسر من كثرة تخليهم عنه، حجرته في ذاك الجانب ذي الضوء الخافت من البيت سرعان ما دخلها وأغلق خلفه باب تلك الغرفة، التي يراها ضيقة مثل ضيق صدره جلس على سريره الذي مل من جلسته الكئيبة عليه، وبشكل لا إرادي أخذت يداه تضغط على مفتاح مصباح الغرفة فتحًا وغلقًا بشكل تكراري وعشوائي، كان كلما كانت غرفته تضيء يرى ما حوله من ضيق من واقع الهموم والذكريات المؤلمة، التي كانت أشبه بسلسلة لا نهاية لها تكبل جسده كاملًا بشدة حتى أوجعت روحه من العمق! وكلما أغلق نورها يشرد في الظلام كالغريق في بحر من وساوس ومقلقات كظلمات فوق ظلمات من المستقبل والتي كادت أن تصبح مرضية!

ذاك هو عالمه الخاص لا يريد الخروج منه! اللهم إلا إذا دخل على موقع التواصل الاجتماعي ذاك العالم التخيُّلي الواهم، الذي فضل العيش فيه هربًا من ذاك الزحام كعادته، هل من كل تلك الأفكار والمشاعر الموحشة التي طالما كانت سيناريو يوميًّا تكراريًّا؟! أم من وحدته في غرفة طالما لم تكن ونسًا إلا لحزنه وانطوائه! أخذ يُقلب هنا وهناك بحثًا عن التسلية أو شيء مضحك كَرُوتِينه اليومي المعتاد، لكنه وسط زحام المنشورات شاردة الأفكار ما بين هذا وهؤلاء وجد منشورًا طويلًا بدأ قراءته على غير عادته، فاختناق روحه أكل صبره على كل شيء حتى

القراءة، وقد كان منشورًا دينيًّا وهو لا يعرف عن الدين إلا القليل، اللهم إلا صلاةً وصيامًا، ولا يشغل نفسه أصلًا بالدين، بالنسبة إلى صاحبنا الدين جزءٌ من نشاطات الحياة بل للأسف له أبسط الوقت من يومه إن وجد، وإن لم يوجد فلا بأس!

المهم لم يعرف صاحبنا ما الذي جعل عينه تقع على ذاك المنشور؟ وما الذي جعله ينكب على القراءة؟ سوى أنه بدأ بعد السطور الأولى يجد خيطًا لضالته التي طالما كان يبحث عنها، وإجابات على ما لم يجبه عنه أغلب العلماء الذين أغفلوا هذا السر في هدي الأمة تفصيلًا في الفقه والبحث، وعلى الرغم أن هذه الكلمات لم تكن شافية لكل تساؤلاته فكأنها بداية حماسه في بحثه عن مصباح سحري حقيقي لتحقيق الأمنيات كالذي وجده علاء الدين، لم يدرِ صاحبنا لماذا شعر أن بارقة نور توهجت داخل روحه؟

«بعضُ العلمِ كنوزٌ لو أننا فقط نتبحر فيه ونتعمق. تذكر كلماتي هذه وتدبرها جيدًا لبقية حياتك».

وليس أولى ولا أعظم بابًا للوصول إلى كنوز هذه الحياة من سعادة وهداية وراحة قلب إلا منهج صاحب هذا الكون، والذي بيده أسراره وقواه الخفية وعلومه الغيبية ومفاتيحه جميعًا وكل خيرات ملكه.

«فيا عجبًا لعبد يطلب السعادة في غير معية صاحبها ويطلب الدنيا في عدم رضا من يعطيها أو يمنعها! لكن قلما يتدبر ذاك الكثيرون، ولذا تجد أكثرهم بؤساء مهمومين؛ لأنهم لم يتفكروا في المنهج الذي أعطاه صاحبها لنا؛ لنعرف كيف نعيش حياة طيبة فيها؟».

لم يكن يدرك صاحبنا وقتها أهم رسالتين من الله له في الحياة للوصول إلى الراحة فيها وتجعل هذا العالم مختلفًا تمامًا، تجعله أجمل في عينيه عما يراه دونًا عن غيره، وكأنه يرتدي نظارة تغير ملامح العالم في عينيه هو فقط!

- الرسالة الأولى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [سورة الرعد].
- الرسالة الثانية: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [سورة طه، الآية: 124].

طالما سمع هاتين الآيتين ولكن لم يتدبر المقصد، مع أن صاحبنا سيكتشف فيما بعد أنهما بهما مفاتيح كنوز الدنيا والآخرة ومنبع النجاح والتوفيق!

منذ صغره طالما سمع حديث الله له «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»، ولكن لم ينتبه لمعنى هذا الحديث بتعمق، وهذا ما ندم عليه بعدها على الأرجح كان يحيره وقتها تساؤل يجعله يترك التفكر في ذلك الأمر، ولكن ما وسيلتي للوصول إلى حسن الظن في الله ليحقق لي ما أتمنى ويكون عند حسن ظني؟! فأنا طالما طاردتني الوساوس المخيفة التي غلبت حسن ظني، حاولت الوصول لحسن الظن ولكنني لم أستطع، كان هذا حديث نفسه وقتها.

ولكن سرعان ما انقلب كل شيء رأسًا على عقب!

أتعرف مَن هذا الشخص؟ ذاك الشخص هو أنا!

مثلك كنت.. مثلك عشت!

كم أثقل قلبي الحزن والعناء جراء شؤم ذنوبي وعدم فَهمي وتفقهي لأهم علم في الدين، علم «عالم الغيبيات وقوى الله الخفية» وما أسرار ذكر الله الخفية وتأثيرها في حياتي؟ وما مدى الترابط بين الذكر وبين علم «حسن الظن فيه»؟ وكيف أن ذكر الله هو في الحقيقة وسيلة الوصول لحسن الظن في الله، ووسيلة زيادته في قلبك؟ «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» تعلمت أن «حسن الظن» سفينة حربية قوية توصلك لأحلامك مهما كانت المعوقات وذاك المصباح السحري المدهش «ذكر الله» والذي هو ليس خياليًّا مثل مصباح علاء الدين في تحقيق الأمنيات، وإنما حقيقي ومعاصر وبتجارب حقيقية لأناس من بيننا في ذات عصرنا، فمنهم من قرأت عنهم فأدهشوني وكانوا رسائل طمـأنينة لأكمل طريقي الذي بدأته في البحث في هذا العالم الخفي بتجاربهم مع الذكر، فأدهشوني وعلموني معانيَ أكثر مما علمتهم، وأخذوني بتجاربهم الحقيقية المدهشة لعالم كامل من الجمال الساحر، تبحرت فيه سنوات بعدها بحثًا بكل حماسة عن ضالتي من العلم والفهم في القرآن والأحاديث والكتب الدينية والعلمية، لتفاصيل هذا السر الدقيق وهذه القوى الخفية، وكأنني عطش في صحراء يبحث عن كل قطرة ماء تروي عطشه.

حينها وحينها فقط «رأيت نور الله»!

والذي لا يراه إلا مَن تعلم وتمحص وتعمق في علمه بالقراءة والبحث والتدبر والتجارب العملية!

فلما ذقت طعم نعيم المعرفة العميقة لحال الله الجميل مع العباد «العاصي منهم والصالح»، وبالغ رحمته التي لا يتخيلها بشر عصاة كانوا أو ملتزمين والتي قال عنها: «إنها وسعت كل شيء»، عاهدت نفسي أن أبلغ شباب الأمة ما بلغني.

أين يجدون نور الله الذي لا يراه إلا من تعلم عن هذا العالم الخفي ذي القوة الجبارة، وعن جمال رحمة الله اللامحدودة بعباده، بكتابي الذي جئتك به من عالم الخفايا بنبأ عظيم فبه تصحيح مفهوم كل مسلم فيما قصر بعض علماء المسلمين في تفصيله.

نعم أصارحك، أشعر أنني لم أجدهم يتعمقون بالتفصيل فيما يخالج الروح من تساؤلات عن علوم الغيبيات وكيفية التعامل مع الله واللجوء إليه لنيل ما نتمنى في حال معصيتنا قبل حال طاعتنا، لم يحدثوا فيه كل مسلم بمنطق عقله بعِبَرٍ من أناس مثله خطّائين من زماننا، فأخذوا يحدثونه بعبر من الزمن القديم لصحابة وتابعين منزلتهم أعلى منا؛ الأمر الذي خلق لدينا حائطًا أو حائلًا في القياس بيننا وبينهم بحديث نفس طالما حدثت به نفسي وحدثت به أنت نفسك.

«لكنّ هؤلاء أنبياء.. لكنّ هؤلاء صحابة.. لكنّ هؤلاء أولياء أو شيوخ أجلاء، أنا لست مثلهم! لا أستطيع قياس حالي بحالهم مع الله».

فكانت هذه الصفحات «رسالة أمل بمعنى إسلامي جديد» إلى كل عاصٍ مثلي ومثلك ولكنه مهمومٌ ومكروبٌ تاهَ في الطريق عن وسيلة الفرج والتوفيق في الأمور الدنيوية، وحتى الطاعات ويتمنى أنه برغم ذنوبه يجد لباب الفرج من كل همومه سبيلًا واضحًا بعلاماته مجيبًا لتساؤلاته ستجدني فيه تارة ألمس فؤادك «أنِ اهدأ واطمئن، فمغفرة الله أرجى مما اعتقدت، وعفوه وفرجه وطمأنينته أقرب مما ظننت، وإن كنت أشد المسلمين معصية له وإن قتلت وإن زنيت»، وتارة أخرى أخاطبك بالحديث عن علم الغيبيات وحكمة الله في ما ترى وتشاهد يوميًا من تصريفات، وتارة بمنطق ينير عقلك المشوش، وكما قلت لك هذا الكتاب جلسة دافئة بيني وبينك ورسالة من القلب من أخ خطاء تواب لأخيه عنوانها «أحبك بصدق في الله وأرجو لك النجاة».

واعلم أني أحدثك لا للحكايات والتسلية، وإنما ستجدني أجيبك على ما يحيرك وأشعر بما تشعر به، سنتجول مع بعضنا بعضًا في رحلة في عمق روحك، لأنبئك بما لم تستطع عليه صبرًا، وأتمنى أن أكون لك فيها خيرَ رفيق دربٍ وطبيبًا روحيًّا وخيرَ معين.

إن هذه القوى يمكنها ليس تغيير مصيرك، بل تغيير أحوال ومصير الأمة، الأمة التي طالما عانت الضعف والفشل والهم بسبب بعدها عن الله! سأتبحر معك في أسرار الأذكار الخفية وقواه الغيبية (التي لم يخبرك بها أحد من قبل) من «استغفار صلاة على الحبيب حوقلة سورة البقرة قيام وغيرها» وكيف أن الذكر له طاقات شديدة خفية لا تُرى، ولكنها تغير روحك أولًا ثم تغير الكون من حولك كالسحر، فاترك لي روحك لأخذها إلى هذا العالم الخفي المليء بالأسرار، سائلًا الله في نهاية الرحلة دعواتك لي لو حللت لك شبهة في الفكر، وصححت لك خطأ في عقيدة، وأكملت لك فهمًا من العلم، ووصلت بك لبر السعادة الحقيقية والحياة الطيبة من السلام الداخلي والرضا التام عن النفس وعن الله.

بعد معجزات الأنبياء هل انتهى عصر المعجزات؟!

هذا ما نحدث أنفسنا به تقول في نفسك: «أنت لست مؤهلًا لحدوث معجزة لك المعجزات للأنبياء فقط، كما تعلمنا من شيوخنا مَن أنت ليُشقّ لك بحرٌ أو تكون عليك النار بردًا وسلامًا أو تصبح عزيز مصر؟!».

لكني كلما مررت بقول الله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة يوسف]. أتوقف! نعم، فالله بجلاله وعظمته لم ينزل علينا قرآنًا عظيمًا ويتلو علينا قصصه من أجل التسلية معاذ الله جل شأنه، إنه يروي لنا رواية موسى ومعجزاته بيقينه وتقواه ليس لنقول في أنفسنا كما نقول عادة: هذا نبي! أنا شخص عادي لا يمكن المقارنة والذي ينطبق عليه لا ينطبق عليّ، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا قال الله تعالى في سورة يوسف والآية: 111: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ثم قال: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً﴾؟! لمَن يا رب؟ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بذلك ويتفكرون فيه ويتدبرون ألا تقرأ الآية مرة أخرى وتتدبرها!

كان لدي شغف لأفهم أكثر «هل ما ينطبق على الأنبياء ينطبق علينا؟!».

بحثت في الأمر لوقت! فوجدت رد القرآن صريحًا في آية أخرى عن النبي يونس: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنبياء]. فاستجبنا له ونجيناه من الغم ثم ماذا يا رب! وكذلك ننجي المؤمنين بي وبمغفرتي واستجابتي من بعده!

إذن الله يخبرنا أن مَن يفعل مثل هؤلاء الأنبياء في الأمور التي أرويها إليكم كعبرة لكم أنتم سيكون جزاؤه مثلما جازيتهم! ولكن يبقى السؤال: هل يشق لك بحر؟!

من البحث في الأمر تبين أن «كلًّا يُعطى مسألته على قدر منزلته» بمعنى أن الأنبياء يشق لهم بحر أما أنت فلك من المعجزات صورة «صورة معجزة» كما أنك صورة من خلق الأنبياء ولا تصل إلى منزلتهم وأخلاقهم.

ولكن صدقني هذه الصورة بعقلك البشري ستجدها كمعجزة في زماننا، حتى إنها ستدهشك وتتساءل كيف حدث ذلك؟! وستلاحظ في القصص التي ستقرأ من حال العباد ما أوفى، فتجد هذه التي شفاها الله من الكانسر وهو بالنسبة إلى عصرنا معجزة! وهذه التي قال الأطباء والعلم إنها لن تحمل وحملت بفضل الذكر، وهذه التي أغناها الله، وهذه التي أصلح لها زوجها وهداه، وتلك التي هدى الله لها ابنها، وهذا الذي بنى قصرًا باستغفاره عدد ولا حرج، نعم إنها تُعد شرعًا صورًا من المعجزات!

ولو تفكرت أيضًا لوجدت لكل نبي معجزة فماذا كانت معجزة نبينا محمد خاتم المرسلين؟! كانت من محبة الله له معجزة فيه وفي أمته من بعده «إنها القرآن» إنها هذا المنهج العظيم الذي ختم الله به رسالته ليكون آخر رسالة وأعظم رسالة ومعجزة للعالمين، المعجزة أن مَن يأخذ هذا المنهج طريقًا في حياته فلا يضل في الدنيا أبدًا ولا يشقى ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [سورة طه]. وعلى النقيض من خالفه فإن له معيشة ضنكًا في كل شيء حال ومال وعيال وحتى في القلب ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [سورة طه، الآية: 124].

لذا فكل منا له «صور معجزاته» من الله وله نصيب منها، ولكن يبقى دورك في الحصول عليها من اللجوء لمالك معجزاتك حق اللجوء، واستخدم وسائل تحقيق هذه المعجزات!



كل متوقع آتٍ!

هل سمعت يومًا عن «قانون الجذب العام»؟!

قانون فكرته عجيبة اجتمع عليها كثيرٌ من علماء العالم، وتيقن منها الأناس الكثيرون حول العالم عبر الأزمان، وكانت سبب نجاحاتهم الباهرة ومعجزات في حياتهم وسعادتهم، ولم يكونوا يعرفون كيف يعبرون عنها؛ كونها شيئًا خفيًّا لا يُرى، فقد لا يصدقهم بعضٌ على الرغم أنه واقع!

يقول في ملخصه: إن الكون كله يخضع لقانون الجاذبية، فالقمر يحكمه قانون الجاذبية مع الأرض، والأرض تنجذب للشمس، والشمس تنجذب للمجرة، والمجرة تلو الأخرى، وكلٌّ يدور في فلك من الجاذبية يسبحون.

وحتى رأسك التي تكاد تشبه شكل كوكب من الأفكار، هذه بها أفكار، هذه الأفكار هي طاقة جاذبة للأحداث الجميلة أو السيئة التي تحدث لك!

فإذا كانت أفكارك إيجابية ومتفائلة بالخير للغد، بمعنى أنك تركز على حلمك الجميل، ولديك حسن ظن أنه سيتحقق، وتتخيل نفسك وأنت تعيش حلمك بالتفاصيل الدقيقة من حركات وبسمات وفرحة وردود فعل طيبة، وأشخاص يشاركونك هذه الفرحة تفصيلًا وكأنك تعيش حلمك واقعًا، وكأنه يقينٌ حدث بالفعل، فإن هذه الأفكار والتخيلات تعتبر طاقة

قوية جدًّا تحرك قوى الكون كله حولك بشكل إيجابي لتخدم أفكارك الإيجابية، وترتب الأحداث حتى يتحقق حلمك كما تخيلته بالضبط.

أما لو كانت أفكارك غير متفائلة ولم تتخيل نفسك وأنت تعيش تفاصيل حلمك، وإنما تعيش في قلق وخوف من الفشل، بل تتخيل تفاصيل فشلك والأمور المحزنة المترتبة عليه وكأنه حدث بالفعل، فأفكارك السيئة هذه تحرك الكون حولك ليحدث لك ما كنت تتخيله من أحداث سيئة، وكلما ازداد سوء ما تتوقعه يحدث كما توقعت بالضبط!

وأعظم مثال لذلك قصة أديسون من العلماء العظماء الذين كان سبب نجاحه في الحياة أنه على الرغم من فشله كثيرًا، فإنه وصل لتحقيق أحلامه، واخترع المصباح الكهربائي بعد 1101 مرة من المحاولات الفاشلة من وجهة نظر غيره، ولكنه كان يعتبرها هو 1101 خطوة للنجاح، فتحقق ما تخيله من نجاح بالضبط، وكما تخيله!

تخيل معي لو أن أديسون في المرة الـ 500 مثلًا فقد الأمل وقال: لن أنجح واستسلم لأفكار الفشل! ولكنه طبق قانون السر على نفسه، فتحولت أفكاره الإيجابية لواقع أضاء به العالم ونعيشه نحن حتى الآن في ضوء اختراعه «المصباح الكهربي» وأفكاره الإيجابية.

وهذا هو السر: إن الأفكار نفسها لها طاقة هائلة ولكنها خفية، وقوة الأفكار تجذب الأحداث التي هي أحلامك لتحقق واقعًا تعيشه، ولمَ لا؟ هل ترى قوة جذب الأرض لك، أو قوة جذب الأرض للقمر بعينيك؟! هل ترى تلك الإلكترونات الخفية التي تتحرك داخل حاسوبك لتظهر لك في شكل برامج تغير وتطور شكل الشركات، وتجعلها على القمة فوق شركات أخرى عالميًّا؟! أم ترى هذه الكهرباء التي تسري في أسلاك

أجهزة بيتك أو ذاك المصنع ذا الماكينات العملاقة؟! بالطبع لا هي خفية، ولكنها موجودة وتعمل ولها تأثير قوي!

هم قالوا: إن كل ما عليك لتحقيق النجاح أن تخطو كل خطوة في حياتك بتفاؤل وتقول: إنني سأنجح، وتقابل المعوقات بتفاؤل، وترى أن الفشل خطوة للنجاح.

ولكن! هناك حلقة مفقودة لدى هؤلاء!

دعنا نقول: إن هؤلاء الأشخاص غير مسلمين، واكتشفوا هذا الأمر متأخرين جدًّا بعد قرون، وسيدنا النبي ﷺ أعلم الخلق سبقهم في هذا العلم وأخبرنا به منذ أكثر من 1400 سنة على لسان حال رب العزة «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء».

ولاحظ: «كيف يوضح لنا الله أن حسن الظن قوة خفية تستدعي قوة الله اللانهائية معك لتحقيق ما تتمناه وإن كان أمرًا عظيمًا».

وقد قالها علي بن أبي طالب رضي الله عنه صريحة؛ لأنه تعلم هذا المعنى من النبي: «كل متوقع آتٍ» نعم، كل ما تتوقعه يأتيك فإن كان شرًّا فشر، وإن كان خيرًا فخير!

وهؤلاء العلماء من غير المسلمين الذين تحدثوا عن سر التفاؤل في الحياة والمشاعر الإيجابية حول العالم لم يذكروا لأحد كيف يصل لهذه الحالة النفسية من التفاؤل، وما وسائل الوصول لذلك لديهم؟! أليس كذلك؟!

فقط قالوا: تفاءل! لكن ما العامل النفسي أو الروحي الذي يساعدني على التفاؤل؟ «ما الوسائل»؟!



فالتفاؤل ليس زرًّا نضغط عليه في قلوبنا فنتفاءل، والتفاؤل والتشاؤم أمر لا إرادي نستشعره حسب حالتنا النفسية!

ولأن أصل هذا العلم ليس لديهم، ولأنهم لا يعرفون جيدًا التفاصيل من واضعه وصانعه «الله» وصلوا إلى هذه المعلومات الناقصة وفقط! ونحن -المسلمين- قد وهبنا الله هذا العلم، ولكننا غفلنا! فلو أنك تفحصت لوجدت أن الله جعل لنا الذكر خير معين على ذلك، وبه تطمئن قلوبنا، وبه تحفظ نفوسنا من الوساوس المقلقة، وبه يعلو إيماننا وحسن ظننا ويقيننا ولنا في النبي العبرة والتجارب العملية الذي قيل عنه: أعظم رجل في التاريخ، والذي لم يذكر مرة أنه يئس قط! والصحابة أيضًا لنا فيهم التجارب العملية من أناس كانوا يرعون الشاة فتحولوا لمسلمين بالمنهج الرباني المليء بالأسرار، فبنوا حضارة إسلامية متقدمة في وقتهم، تحدث عنها العالم كله، بل كانوا نقطة النور في الأرض وقت ظلام أوروبا التي امتلأت بالجهل والتخلف والهمجية وقتها، وذلك لأن النبي ومن بعده الصحابة والتابعين عرفوا ذلك السر وطبقوه بتفقه وتدبر، السر الذي علمه أبو بكر فحوّله من تاجر عادي لأعظم حاكم، وعلمه عمر بن الخطاب فحوّله من عابد للأصنام جاهلي وكافر إلى حاكم لأكثر من نصف أهل الأرض، وهو السر نفسه الذي جعل سيدنا خالد بن الوليد يشرب السم وهو يعلم سميَّته بعد قوله: «بسم الله» ولا يتأثر! والأعجب أنه ذاك نفسه هو نفس السر الذي علمه نبي الله يوسف قبلهم فأخرجه من السجن بحسن ظنه وصبره ليصبح عزيز مصر وعنده خزائن الأرض!

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [سورة يوسف].

وذلك دليل أن علم التأويل كان جزءًا من علمه عن «الغيبيات»، وأن الأفكار قوة نستدعي بها قوى خفية مكنته أن يكون لديه قوة ليست لدى غيره، وأرشدنا أن ذلك كان سببه إيمانه وتقربه لله وتجد أن سيدنا يعقوب أيضًا كان له نصيب من هذا العلم لما فقد سيدنا يوسف ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [سورة يوسف]. ولما رد الله عليه سيدنا يوسف قال لإخوته: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦﴾ [سورة يوسف]. يقصد قوة أفكار ومشاعر حسن الظن في الله بفضل تقربه له وطاعته!

ومن يتدبر يجد أن ذلك السر تناقلته قلة من الأجيال المسلمة عبر الزمان، واستخدمته فكان سبب توفيقها، بل كان سبب دهشتنا ببعضهم وبقصص نجاحهم وعظمة شأنهم، ولكن منهم من فهمه ولكنه لم يتحدث عنه، ومنهم من حدثنا عنه ولكنه لم يفصل كلماته عنه وعن عظمته!

«إسلامنا عظيم وهو أصل هذا السر في الحقيقة أليس كذلك؟!».

إذن دعنا نعرف تفاصيل أكثر ستبهرك عن أصل هذا العلم في الإسلام ووسائل الوصول لأسراره، وأن الإسلام منبعه وكيف أنه أصل لكل خير في حياتك سواء على مستوى توفيقك في الأمور الدنيوية أو توفيقك للطاعات نفسها؟

ولكن دعني أولًا أطرح عليك احتمالًا..

قد تكون «أنت المشكلة»!

قد تكون سافرت إلى بلاد كثيرة، ولكنك لم تفكر يومًا أن تسافر داخلك!

أتعرف؟! بعد سنوات من البحث والتفكر والتدبر اكتشفت أنه بسبب جهل مني بالله وكيفية التعامل معه ومع قوانين قوى كونه الخفية التي لا يعرفها كثيرٌ منا، وما مدى رحمته، وما مدى مغفرته وكرمه وعطائه بعمق، اكتشفت أني «أنا المشكلة»! نعم، وجدت أن جل الهموم التي أعانيها لم يكن بسبب ذنوبي حتى وإن كنت أعصى خلقه، أو أني إنسان سيئ الحظ كما كنت أظن! بل كان بسبب سوء فهمي لكيفية التعامل مع الله واستسلامي لوساوس شيطاني، وعدم فهمي عن عمق تفاصيل نفسي البشرية، وكيفية التعامل معها وتربيتها لتكون مجهزة لاستقبال وفهم «رسائل الله» لي، والتي كانت عادةً «مشوشة» بسبب تشوش قلبي وعقلي ببعدي عن الله وانشغالي بالماديات والشهوات والمظاهر الخداعات وعدم تفقهي في الدين بعمق.

ولتعرف التفاصيل:

«أَفرِد معي شراع مركب أمانيك، واستعد معي للإبحار ما بين أمواج حكايات الفرح وخواطر الشرح، واجعل زادك فيها التدبر والتصبر، وبوصلتك هي الوصول إلى بر أمان الله، لترى على مرمى بصرك ذاك الشاطئ الذي به جنات خفية من الله في هذه الدنيا لك وحدك يا من تعلمت هذا العلم، وستجد فيها من ألوان البهجة ما يثلج صدرك» ولا تستعجل الحيرة والتساؤل عن أمر حتى أحدث لك منه ذكرًا.

من حال إلى حال!

في أثناء كتابتي لهذه الصفحات أُرسلت إليَّ هذه الرسالة بتاريخ 2 من ديسمبر، فأحببت أن أقدمها لكم أولًا لأنها تحتاج إلى التأمل من كل عاصٍ قنط من رحمة الله.

في رسالته لي قال:

أحدهم من السعودية يُقرئك السلام ويقول لك:

إنه يحب أن يخبرك أن حياته تغيرت 180 درجة بسبب كلماتك، والتي أخذتني من يأسي إلى الأمل مرة أخرى فانتقلت من شخص لا يصلي ولا يفتح مصحفًا ولا يتصدق، وعاصٍ حتى إنه أقدم على كل الكبائر عديم الطموح وكسول وعنده لا مبالاة وذنوب خلوات وعلاقات مع فتيات وغيره الكثير! -ولكن لا أريد أن أطيل عليك في الشرح- تحولت إلى شخص آخر تمامًا ملتزم وناجح والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، فالحمد لله على ما هدانا لهذا!

زوجي أخذته الشرطة!

سأخبركم قصتي العجيبة مع الاستغفار والصلاة على الحبيب، زوجي أخذته شرطة الأمن الوطني دون أن نعلم السبب، وظل أكثر من يوم، وكل الناس كانت تقول لي: إنه قد يتعذب، أو قد يُحرَم من الأكل والشرب أو قد يموت، وإنه إذا دخل المعتقل فإنه لن يعود أبدًا كنت أشعر كأنني

على جمرة من نار والشيطان بدأ يدخل خاطري ويوسوس لي أن كلامهم صحيح بما أنهم مشتبهون بينه وبين إرهابي!

«كنت بدأت أن أيأس لا حول ولا قوة إلا بالله لكن قلت: ليس لها إلا الله»!

بدأت أستغفر الكثير بنية أن يفرج الله عن زوجي، وبالليل أقرأ سورة البقرة وأصلي قيام الليل وأظل أدعو وأبكي لله، وبعد يومين فقط من الدعاء والتضرع لله شعرت بأن الله وضع في قلبي استبشارًا وسكينة، وأنه سيخرج اليوم مع أن كل الطرق كانت مسدودة سبحان الله! وما من أحد مستبشر بما حدث.

لكن استمررت على الاستغفار، وفي أثناء استغفاري نمت من الإرهاق ثم قمت أدخل دورة المياه أعزكم الله وقلت: أنام مرة أخرى، وأنا في دورة المياه وجدت نفسي أريد الوضوء سبحان الله! قلت: إذن سأصلي قيام الليل وأنام، نظرت في الساعة وجدتها لم تصل إلى 12 منتصف الليل، فقلت: أستغفر وأقرأ البقرة حتى 12 مساء قمت صليت قيام الليل وكالعادة أدعو وأبكي وكلي أمل أنه سيخرج اليوم قبل غد.

وقبل أن أقول: السلام عليكم وجدت تليفوني يرن! للحظة قلبي دق وشعرت أنه زوجي لكن قلت: لا ليس هو لعلها أختي هي تتصل في ذاك الوقت لتطمئن، المُهم صليت وهرعت إلى الهاتف وفجأة!

إنه رقم زوجي! لم أصدق عيني وجلست أقول: له هل أنت زوجي؟! قال لي: نعم، أنا. وأنا غير مصدقة! قال: أنا قادم الآن في الطريق. والحمد لله خرج لي بالسلامة.

إخوتي يجب أن نستغفر ونصلي على النبي كثيرًا في كل وقت، وعندما ندعو نكون واثقين أن لله استجاب لدعائنا أصلًا وليس أن الأمر محتمل! هذه هي الطريقة السحرية لإجابة الدعاء أن تدعو بيقين وقراءة سورة البقرة بنية معينة فعلًا سحر. ونقول: هذه لله، ثم بنية كذا، ولله قراءتها سحر!

أنا حتى الآن لست مصدقة وندمت على كل لحظة شعرت فيها باليأس ولم ألجأ لله ورحمته بسبب يأسي من أنني أمة الله الخطاءة أحيانًا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

من فتاة مستهترة إلى!

كنت منذ فترة فتاة مستهترة أعيش كما يحلو لي، ألبس ما أشاء أخرج، أتفسح، وأشياء أخرى كثيرة تخص البنات لا داعي لذكرها فالله غفور.

في هذا الوقت حدثت لي مشكلة بسبب الحب الحرام، وكان من الممكن أن تضيع حياتي بسبب هذه المشكلة بدأت أنظر لنفسي وأنتقدها.

أول مرة أشعر في حياتي أنني أرتكب خطأ وأتمنى من الله أن يسامحني بمعنى الكلمة، وصرت أبكي، وقمت بمسح جميع الصور الخاصة بي من على مواقع التواصل الاجتماعي، كنت أرتكب أخطاء عديدة وبدأت في البعد عنها، وكلما عدت إليها أستغفر وأعود ثم أستغفر وأصمم على كثرة الاستغفار، كنت أبكي لأن شيطاني أقوى مني، ولكن الله يعلم أنني أريد أن أتقرب منه.

في هذا الوقت تقدم لي شخص متدين، وكنت في بداية الأمر موافقة، ولكن الشيطان وسوس لي إضافة إلى أشخاص لم يكونوا ليتمنوا الخير

لي تدخلوا في الأمر، ولم يحدث نصيب، لم أحزن، وجلست أكثر من سنة أجاهد نفسي، وأسأل الله أن يرزقني بشخص يقف سندًا لي في طريق الله ويقويني، وكنت ما بين ارتكاب الذنب والاستغفار حتى وصلت إلى بر الأمان بمفردي وبدأت عزيمتي تكبر.

غيرت نمط ملابسي وصرت أستمع وأحفظ كتاب الله وبدأت أتغير جزئيًا، صرت أشعر براحة نفسية، حافظت على الصلاة، وكافأني الله عز وجل بأن أموري في بيتي تحسنت إضافة إلى نجاحي في دراستي.

أما المفاجأة التي أدهشتني أن الشخص الذي كان قد تقدم لي منذ زمن جاء مرة أخرى وتقدم لي، ورغم أنه كانت هناك حواجز كثيرة بالنسبة إلى أهلي فإن الخطوبة قد تمت بفضل الله، وتم كتب الكتاب رغم أن أهلي كانوا رافضين لهذا الأمر بتاتًا، وصار هذا الشخص هو الذي يقويني ويعينني على ديني لقد جعلني أرتدي النقاب، وساعدني على حفظ القرآن والتقرب من الله أكثر وأكثر ولله الحمد.

لماذا أحكي قصتي؟

لأنني أريد أن أقول: إن الإنسان مهما كان سيئًا بمعنى الكلمة، ومَهما كان ذنبه كبيرًا؛ فإن باب الرحمة مفتوح، والله يقبل كل عباده لو رأى منهم صدق المجاهدة لأنفسهم، وما دامت لديك نيتك وإصرارك على القرب من الله، فإنه عز وجل سيساعدك على الوصول إلى قربك منه وهدفك وأحلامك بسبب الاستغفار؛ فهو وحده العالم بحالك.

تعقيبًا على قصة الأخت أنها بإذن الله ستكون طاقة أمل لأشخاص كثيرين قد يأسوا من أنفسهم وغفلوا عن واسع رحمة الله.

سيدنا عمر بن الخطاب كان أهل مكة يقولون عنه: لو أسلم حمار الخطاب لأسلم عمر بن الخطاب؛ سخرية من شدة كفره، ولكنه برحمة الله عز وجل صار من المبشرين بالجنة في حياته.

لم أتوقع أن أشفَى من مرض الكلى!

يحكي لي قصته في رسالة:

أنا مصاب بمرض في الكلى أتعالج منه منذ سبع سنوات، رأيت حسابك على فيسبوك الذي تدعو فيه للاستغفار والذكر وكيف أنَّ أناسًا كثيرين قضى الله حاجتهم به. واظبت على الاستغفار ولكن كان لا يزال لدي شك يصارعه حسن ظن في الله أن الله سيشفيني، على الرغم أن المنطق والطب لا يقولان ذلك أبدًا فكيف لمريض كلى أن يُشفى وهو الآن يغسل كلى! وسبحان الله! في أقل من شهرين والله بعد إجراء التحاليل وجدت أنني طبيعي مثلي مثل أي إنسان فسبحان الله ومستمر بإذن الله في الاستغفار.

وأقول لإخوتي: استغفروا يوميًا بصدق، وداوموا على الصلاة حتى لو سقط منكم فرض أكملوا ومع الوقت سيطبق عليكم قول الله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [سورة العنكبوت].

استجاب دعوة الكافر.. واستجاب حتى لإبليس.. ألا يستجيب لك؟!

مشهد أصابني بالدهشة لم أنسه قط، هذا الزميل في العمل - هذا الشاب الذي طالما كان متعاطيًا للمخدرات وصاحب كبائر بما ستر الله عندما قال لي: أنا دعوت الله أن يشفيني من مرض صعب وكنت أحتاج

إلى عملية جراحية، وأنا وأهلي في حالة مادية صعبة، وثمن العملية كبير، لكن كنت أدعو الله وعندي حسن ظن فيه عجيب أنه سيستجيب دعائي لأني مضطر وليس لي غيره، فحقق دعائي وتم علاجي على نفقة الدولة بدعائي، على الرغم أني كنت أعاني هذا المرض لسنوات ولا أجد الحل لدى أحد ممن حولي، نعم كنت أدعو الله قبلها، ولكن هذه المرة لم أعرف كيف جاءني هذا اليقين وحسن الظن في الله فاستجاب دعائي، وقتها سمعته وكنت أردد داخلي: استجاب لك أنت! ما هذا الهراء؟ لعلها صدفة!

ولكن الغريب أنه أدهشني أكثر لما قص عليَّ تفاصيل توضح أن الأمر دبره الله من أوله لآخره بشكل أكثر دهشة وقال لي نصًّا: «أعرف أنك تحدثك نفسك: لماذا يستجيب لي وأنا على هذه الحال؟ ولكنك لا تعرف كم بكيت له؟ ونويت التوبة وقت دعائي هذا على الرغم أني لم أتب تمامًا من ذنوبي، ما زلت خطاء ولكنه اسمه المجيب».

ظل هذا المشهد يداعب أوتار قلبي ويشاغل خيالي فاتخذت قرارًا بالبحث فيه، ووجدت ما أدهشني أكثر حتى عجز العقل عن تصديقه لفترة مؤقتة، وبتأكيد الله في قرآنه والنبي في أحاديثه والعلماء في تفسيرهم أصبحت أؤمن به رأي العين، بل أصبحت أستخدم سر حسن الظن واليقين بالله في كل مرة أدعو الله فيها، وأجد ما يبكيني دهشة أقسم لك! -كثير منا يسأل نفسه متى أعرف أن دعوتي استُجيبت؟!- الإجابة الشافية (احفظها لبقية عمرك).

تلك اللحظة التي تيأس فيها من كل عباده! تجد أن لا أحد من الناس ينفعك، ولا يستطيع مساعدتك، والأدهى أنهم قد يكونون قد تخلوا عنك

عن قصد! ينكسر قلبك وتعاتب نفسك: كيف كانوا يحتلون هذه المكانة في قلبي؟! كيف كنت أعتقد أن هؤلاء هم من سيكونون سندي وعوني؟!

في هذه اللحظة نفسها يكون الله في انتظارك!

حتى يستجيب لك لأنك أصبحت في حالة «العبد المضطر» تلجأ له هو فقط وبداخلك يأس من كل الناس ومن كل الأسباب والظروف ولم يبق لك إلا الله عز وجل، الآن فهمت الحكمة مما حدث لك؟ الآن فهمت أن الله عز وجل يرسل لك برسالة مفادها «ومن لك غيري؟!» ولجأت له بصدق وانكسار!

فتأكد أنه في هذه اللحظة ستستجاب دعوتك لا محالة ولو كنت كافرًا! وليس فقط عاصيًا! وسأخبرك لماذا؟ وهذا بكلام العلماء «أمن يجيب المضطر إذا دعاه» من معانيها أن الله يجيب دعوة «المضطر الكافر» ولكن «في أمر دنيوي فقط» سواء مال أو كرب يتعرض له، لكن مثلًا لا يقول: يا رب الجنة! فيستجاب! يستجاب للمضطر حتى لو كافرًا لأمر دنيوي فقط، وهذا يعود إلى أن الله مجيب لكل عباده؛ لأنه خلقهم. ولله المثل الأعلى. الأب الذي أنجب أولادًا منهم الصالح ومنهم السيئ «لكنه متكفل بهم وبقضاء حوائجهم كلها»؛ لأنه والدهم رب البيت الذي أنجبهم. الله لأنه رب كل العباد فرض على نفسه أنه «متكفل بنا وبحوائجنا»؛ لأنه رب كل العباد الصالح منهم والعاصي وحتى الكافر، وهو الذي خلقهم، لكن يبقى شيء واحد أنك تؤمن بهذا «تؤمن بأنه مجيب دعوة المضطر» هذا هو الأمر الفصل!

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾ [سورة البقرة، الآية: 186]. وإذا سألك عبادي! ماذا يقصد بعبادي؟ لماذا لم يقل

الله: إذا سألك المؤمنون أو الأولياء أو الصالحون فقط؟ إن الله لم يقل كلمة في القرآن إلا وكان معناها دقيقًا ومقصودًا تمامًا «عبادي» يعني بها كل عبادي العاصي منهم والصالح، ثم يقول: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [سورة البقرة، الآية: 186]. يجيب دعوة الداعي كل داعٍ وأي داعٍ؟ لم يحدد درجة تقواه ولم يقل: مؤمنًا أو شيخًا أو شخصًا ملتزمًا هو قال: كل داعٍ يستجيب له؛ لأنه المجيب للكل.

يوضّح الصالحون السابقون: إن جميع الناس يسألون الله كافرًا كان أو مؤمنًا، وقد ترى أن الله يجيب دعوة الكافر، فإنهم يطلبون الرزقَ فيرزقهم ويسقيهم، ولكن ليس كل ما أُجِيبَ طلبه أن الله راضٍ عنه، فإنه يُجيب الكل.

هل ترى معي أن الله يجيب دعوة المضطر إذا استغاث به من أمر علم العبد فيه أن لا مجيب له إلا الله!

نعم، فإن الله ولأنه «يتعامل بما هو أهله» من الكرم والرحمة والحياء وليس ما العباد أهله «مجيب في كل الأحوال» هذه صفته الإلهية، ومن كمال ألوهيته -ولله المثل الأعلى- الشخص الخلوق الملتزم يتعامل مع الناس بخلقه، حتى وإن عامله أحدهم بسوء يُحسِن هو إليه، ما بالك برب عزيز كريم رحيم عفو ودود! ولكن هناك إجابة «لعوام العباد» في الأمور الدنيوية من إغاثة من يستغيث به، والدنيا لا تزن عنده جناح بعوضة في كل الأحوال، ويوجد إجابة «لخواص العباد» في أمور الدنيا من العزة والرفعة وكذا، وأمور أخرى من بلوغ منزلة عالية في الجنة ورؤية وجهه الكريم، وأن يحشر مع النبي في الجنة وغيرها التي لا يعطيها الله إلا لعباده الأبرار.

إذن «ظنك في الله هو الفيصل في الدعاء»!

لو دعوت وعندك حسن ظن أنه سيستجيب ولو كنت قبلها عاصيًا وتُبت الآن لكي يقبل دعاءك ويقضي حاجتك سيستجيب لا محالة! أما لو أسأت الظن ودعوت دعاء أحد يجرب «فالله لا يُجرَّب» تنزه الله عن ذلك.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [سورة البقرة، الآية: 186].

«هذا هو الشرط» أن تستجيب لأمر الله بأن تدعو وأنت تؤمن وقت دعائك أنه «مُجيب لك» وإن كان بك ما بك من الذنوب والعيوب، وأن تؤمن أنه «قادر» وإن كانت كل الظروف تقول: إن الأمر مستحيل.

ولهذا كان النبي يعلم أهم ما في الدعاء من شروط ليستجاب وقال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»!

يقول العلماء: «العجب كل العجب من عبد يدعو وهو ظان أن الله لا يستجيب له، وقد استجاب الله لمن هو أسوأ منه وهو إبليس لما دعا الله». قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ٣٦﴾ [سورة الحجر].

فاستجاب الله له: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ٣٧﴾ [سورة الحجر]. حتى الشيطان -أعزك الله- فطن لهذا، وهو كان عاصيًا لله معصيةً كبيرةً، كانت سبب غضب الله عليه للأبد دون مغفرة قط وإنذار مؤكد من الله له بأنه مصيره الحتمي النار، عندما قال له: اسجد لآدم فرفض، بعدها مباشرةً دعا وهو موقن أن الله «مجيب»، وهو على هذه الحال فأجابه تخيل!

لذا يقول النبي: «يستجاب لأحدكم ما لم يستعجل» قيل: وكيف يستعجل يا رسول الله؟ قال: «يقول دعوت ودعوت فلم أرَ يستجاب لي

فلا يستجاب له» لذلك الذين يشتكون مرارًا من عدم إجابة دعواتهم «هم السبب» في ذلك؛ لأن قلب الدعاء هو حسن الظن واليقين والصبر لحين إجابة دعواتهم وهم مستشعرون أن دعواتهم ستستجاب ولو تأخرت، وليس الاستعجال وفقد الأمل في وسط الطريق!

وعلى قدر «قوة» حسن ظنك بالله تكون «سرعة» الإجابة!

يقول بعضٌ من الصالحين: إن الدعاء من الأسباب الأولى والقوية التي تدفع المكروه بعيدًا ونحصل على الاستجابة سريعًا، لكن يجب أن نطلب ونحن موقنون بالاستجابة من الله سبحانه وتعالى. وفي صحيح الحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه». تذكر (لا يقبل من قلب غافل لاه)».

ولأن الله يعلم وسائل الصيانة الدورية للنفس وكيفية إعلاء طاقاتها الإيمانية فإن الذكر جعله الله لتقوية الإيمان واليقين لدى المسلم، وإعلاء كل المشاعر الإيجابية داخله من تفاؤل وأمل. ولاحظ ارتباط ذلك بقانون الطاقات والقُوَى الخفية!

فالدعاء له قوة خفية، واليقين في الله له قوة خفية، وحسن الظن له قوة خفية، وكلها قُوَى أقسم لك إنها في الحقيقة أقوى من كل القوى المادية التي تراها من اختراعات وجيوش ومناصب وممتلكات، وسأُفصّل لك فيما بعد بأمثلة.

يقول علماؤنا الصالحون: إن من يواظب على قرع الأبواب تُفتح له. نعم، أَلْحِحْ على الله في الدعاء، واجعل لديك قوةَ إصرارٍ على الدعاء مهما قابلت من معوقات وضيق أكثر، الأمر يتعلق بالصبر واليقين مهما

طال الوقت، ومهما كان الأمر يبدو صعبًا لك كبشر وهو في الحقيقة عليه هين!

نَقَل التابعي الجليل ثابت البناني -رحمه الله- عن أحد العُبّاد قوله: إني لأعلم حين يستجيب لي ربي -عز وجل- قال: فعجبوا من قوله! قالوا: تعلم حين يستجيب لك ربك؟! قال: نعم. قالوا: وكيف تعلم ذلك؟! قال: إذا وجل قلبي واقشعرَّ جلدي وفاضَتْ عيناي وفتح لي في الدعاء؛ فثم أعلم قد استُجيب لي.

نعم أنت تدعو حييًّا كريمًا يستحي أن ترفع إليه يديك ثم يردهما صفرًا يقول النبي: «إن الله حيي كريم يستحي أن يرفع العبد إليه يديه ثم يردهما صفرًا خائبتين».

لعلي لمست قلبك بهذه الكلمات ولعلك تخبر كل يائس بهذه المعاني وتجعله يتوجه إلى الله بالدعاء ويطمع فيه، تيأس من ماذا بعد كل ما فقهت؟!

سؤلك المتحير وإجابته الشافية!

أعلم أنك تقول في نفسك: نعم، أعلم أن حسن الظن شعور رائع، وأشعر بالفعل أن كل هذه الكلمات حقيقية، ولكني حاولت مرارًا أن أستشعر حسن الظن، ولكني لم أستطع، فكيف أستحضر حسن الظن؟ أخبرني تفاصيل أكثر! فحسن الظن كما قلنا ليس زرًّا تضغط عليه فيحسن ظنك، ولكن هناك خطوات لتصل إليه.

«نفسك البشرية من الله وهو صانعها وصانع الصنعة أعلم ما الأدوات أو الوسائل التي تقوم بصيانتها الدورية، وكيف يحيي في قلبك كل شعور».

ولنقرأ الحديث كاملًا هذه المرة لتعرف السر! يقول تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

كانت أول مرة لي أكتشف هذا الربط بين «أنا عند ظن عبدي بي»، ثم يكمل الله حديثه ليربط ذلك لنا مع «وأنا معه إذا ذكرني» ثم يقول: «وإن تقرب إليَّ» ولماذا أتى الله بهذه المعاني مترابطة في حديث قدسي واحد؟ نعم هو ذاك الذي تفكر فيه الآن فحسن الظن يأتي بلزوم الذكر؛ لأن لزوم الذكر يستدعي «أنا معه» معية الله لك فيكون معك بالحفظ من وساوس الشيطان، والحفظ من نفسك الأمارة بالسوء وكل شر قد يصيبك من بشر أو جان، أو حتى شر ذنوبك بل يطمئن قلبك فتشعر بالتفاؤل والأمل والاستقرار النفسي، وتبتعد عن القلق والخوف والتوتر، ولأنه قالها صريحة: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب».

إذا تدبرت ستجد أن الله ذكرنا وقال: إن ذكره يحفظ الإنسان من الفتن والذنوب «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر» نعم، ذكر الله أكبر وله أكبر تأثير من بين الطاعات كلها في تغيير حياة الإنسان وأسلوبها، ولزوم ذكر الله من أعظم العبادات للحفظ من الفحشاء والمنكر والفتن وسوء الظن واليأس، بل حتى لو أقدمت على الذنوب فتستطيع به محو هذه الذنوب وشؤمها، وحتى لو حدت عن الطريق سرعان ما تعود وتؤوب وتقترب من جديد «وإن تقرب إليَّ»، أرأيت هذا الترابط المدهش بينهم؟ ولماذا وضع الله هذه الكلمات في حديث واحد لنتفكر فيه ونتدبر؟!

ودعني أتعمق معك أكثر في المعنى وأقول لك مثالًا:

أنت مثلًا دون استشعار التوبة والاستغفار الصادق ستظل تظن في نفسك السوء وتقول: «لماذا يستجيب الله لدعائي؟ أنا سيئ! هو لن يقبل مني أنا.. أشعر بذلك» وكما قلنا هذه مشاعر سيئة، وأفكار سيئة تجلب لك الأحداث السيئة فيما بعد، ولو تفكرت معي لوجدت أن لكل ذكر «معنى» يستدعي في قلبك مشاعر إيجابية من حسن ظن وتفاؤل، وهذا الذي تحدث عنه العالم واكتشفوه أخيرًا بعدنا نحن المسلمين بقرونٍ!

جرب أن تجلس الآن وتلزم ذكر الله كثيرًا حتمًا ستأتيك الأفكار الآتية وأنت تذكره، «إن الله غفر لي الآن وتغير حالي معه، إن الله معي أنا اتخذت معيته الآن، فأنا أذكره وما دام الله معي فمَن عليَّ؟ وما يضرني؟!» قولك: لا حول ولا قوة إلا بالله تتبرأ فيه من حولك وقوتك لحول الله وقوته فتشعر من داخلك بحديث لنفسك أن القوة اللانهائية «الله» معك تساندك؛ مما يعطيك الثقة. قولك: أستغفر الله وأتوب إليه استشعار أنك تتخلص من الذنوب وشؤمها على حياتك. قولك: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد فيه «استشعار عشرات الصلوات من الله والبركات تتنزل عليك، ومن صلى عليه الله وباركه فقد ضمن أن يعيش في نعيم ممتع» إلى آخر ذلك من الأذكار، وسنسترسل فيما بعد في هذه المعاني بالدقة والتفصيل. المهم أن تعلم أن كل ذكر أنعم الله به علينا هو في الحقيقة جعله الله لنا محركًا لحسن الظن واليقين، ويعلي داخلنا طاقة الإيمان بالله، ومن ثَمَّ يحرك الكون بأحداث إيجابية لتحقيق أمنياتك.

إذن هي خطوة تسبق حسن الظن!

من هنا تبدأ أول خطوة في تبديل حالك وتتحول من المذنب السيئ في نظر نفسك إلى «التائب من الذنب»، الذي «كمَن لا ذنب له» كما قال النبي.

يجب أن تقوم بها لإزالة هذا العائق النفسي الذي نغص عليك حياتك بسبب اعتياد الذنوب دون توبة للوصول إلى حسن الظن بينك وبين ربك، تزيل هذه المشوشات التي على قلبك من الران «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» يعني ما كنت تكسب من الذنوب تمحو شؤمها وتغسل قلبك وتجهزه لاستقبال الرحمات والنورانيات الإلهية، تخرجه من أسر الشيطان بالوساوس لك بسبب ذنوبك؛ لأنك بالذكر تدخل في حصن الله الحصين، فلا يستطيع الشيطان بوساوسه احتلال قلبك، أتسمع نصح النبي «احفظ الله يحفظك».

وكما سترى من القصص التي سأقصها على قلبك استطاع الكثير وهم أناس عاديون جدًّا وخطّاؤون أن يصلوا إلى حسن الظن، هذه القوة الخفية اللانهائية لتحريك كل الأحداث حولك لخدمة أمانيك وقضاء حاجاتك وأنا منهم. الأمر بسيط ولكن يحتاج منك فقط إلى الثبات على الطريق، وإلى أن تصبر على خطواته وتثبت مهما وسوس لك الشيطان أنك لن تستطيع. فتبدأ بالتفاؤل والاستبشار ويتحقق فيك قانون الجذب بالمعنى الإسلامي «أنا عند ظن عبدي بي»، ويكون لديك أسباب مقنعة لنفسك لحسن الظن.

أتشعُر بالوحدة؟! هو معك!

غربة! وحدة! تشعُر بها على الرغم من كثرة الناس حولك هم كثيرون لكنك لا تجد فيهم صادقًا أو معينًا، الأمر الذي دفعك للانطواء لافتقاد الونس وشعورك أن ضررهم لك بكلماتهم اللاذعة أكبر من نفعهم، حتى إنك قد تكون أصبحت «لا ترد» على رسائلهم ولا مكالماتهم، لكنك نسيت أن هناك مَن هو الأفضل على الإطلاق ويناديك يوميًّا في أذان الصلاة وقرآن يُتلَى، وتنزل للسماء الدنيا كل ليلٍ مناديًا لتكون معه فيكون معك وأنت أيضًا «لا ترد»!

هو يقول لك: «أنا جليس من ذكرني» يا رب تكون جليسي أنا؟! نعم، بل «وأنا معه إذا ذكرني» يا رب تكون معي أنا؟! نعم أنت! هل تعرف قيمة ذلك؟! أنت ستحصل على جائزة كبرى لها نتائج باهرة لو أنك تعلم وهي «معية الملك» وسأعطيك مثالًا يفتح قلبك!

تخيل معي أنك يوميًّا تجلس عند الرئيس فلان، فيراك الناس يوميًّا جليسه، حتى إن أحدهم يقابلك يقول لك: أنا أعلم أنك تجلس مع الرئيس وأنا لي عنده طلبٌ أتمنى أن تطلبه لي منه، فمؤكد أن علاقتك به وثيقة وصرتم مُقرّبين، ولله المثل الأعلى إذا كان ملك الملوك معك فمن في الكون عليك؟ وبمعية الملك الذي بيده مصائر الكون وتدابيره وكنوزه «تطمئن»، ليس كسابق أمرك كنت تشعر أنك وحدك وأن الملك ليس معك؛ لأنك ببساطة لست معه «أنت دون الله أضعف ما تكون وبالله أقوى من العالم أجمع».

لو أنك صدقت في التوبة حتى وإن ضعفت بعدها مرارًا ولكن استمررت على نهج معاودة التوبة فكلما وقعت قمت بسرعة، ودخلت



قلعة الله المُحصّنة «الذكر»، ولا تدع للشيطان عدوك عليك سبيلًا ليفترس قلبك من جديد، ويسيطر عليه، وأخذت ملازمة ذكر الله قلعة حماية لك، ستتغير أفكارك ومشاعرك وحسن ظنك، وتبدأ كل مشاعر التفاؤل بالله تستحوذ على قلبك.

والذكر أيضًا معين على الصبر؛ لأنك بالذكر تعيش بالأمل، فيهون عليك الصبر وكأنك تمشي في طريق قد يكون حاليًّا مظلمًا، ولكن بآخِرِه نورًا مُشرقًا، وترى تفاصيل قصر أحلامك البراق في نهايته.

ولكن.. نَفِّذ هذه الخطوات لتحقيق حسن الظن:

- اجعل الصلة بينك وبين الله قوية بملازمة صلاة الفرض، فالصلاة من كلمة صلة يجب أن تقوي صلتك بالملك، لتستشعر أنه سيقضي حاجتك ولو أنك زدت على صلاة فرضك صلاة قيام ليل تلك العلاقة الخاصة بينك وبين الملك فقط، ستجد العجب من ارتفاع شعور حسن الظن داخلك.
- خذ المعية بملازمة ذكر الله بشتى أنواعه، والتي ستجدها وتجد معانيها في هذا الكتاب، واعلم أن كل ذكر من الأذكار له أثر مختلف في القلب، وكيمياء مختلفة لمشاعرك، ويصلح داخلك عقيدة وفكرًا ليرتفع حسن ظنك وإيمانك وليس مجرد تمتمة لسان.
- أَلْحِحْ في الدعاء واعلم أن الشكور يحب العبد اللحوح في الدعاء، وأن إلحاحك في الدعاء يعني صدقك في الصبر وحسن الظن والرضا.

- اِرْضَ عن الله واعلم أنه اختبار، وأنه ليس شيءٌ دائمٌ في هذه الدنيا، وأن الله كتب على كل شيء بما فيها همك هذا الفناء «كلُّ مَن عليها فانٍ» لا فرحك يبقى، ولا حزنك يبقى، والمسألة مسألة وقت وصبر واختبار إيمان وحسن ظن، ثم فوز عظيم.
- استجب لأمر الله بالدعاء، وآمن أنه المجيب في كل الأحوال، وهذا ليس قولي إنما هو قول الله لما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة]. أترى كلمة فليستجيبوا لي؟! استجب أنت لله ليجيب دعاءك. استجب لأمره وآمن أنه المجيب، واجعل إيمانك يقينيًّا في ذلك، مهما بلغت من المعصية، ما دمت وقت دعائك تبت وأنبت، فالله يجيبك، وآمن أنه قادر، وإن كانت كل الظروف صعبة أو مستحيلة، هو قادر أن يقلب كل موازين الأمور بكُن فيكون. وسأبحر معك أكثر في تفاصيل هذه الخطوات تباعًا..

كان مدمنًا للمخدرات!

كان أخي مدمنًا للمخدرات، وبعد وفاة أبي زاد في طريق إدمانه، حتى أصبحت حياتنا جميعًا جحيمًا بسببه بمعنى الكلمة، وأنا فتاة لا أستطيع أن أحكم عليه، وأمي طيبة لا تستطيع السيطرة عليه أيضًا، كم أتعب أسرتنا هذا جدًّا ماديًّا ومعنويًّا! لعلكم تعرفون أن المدمن للمخدرات بعد إدمانه يتحول لمريض نفسي حقيقي، وفاقد لعقله بشكل غير مكتمل، يكفي أن أخبركم أنه كلما كان يحتاج إلى المال كان يقوم بالصريخ في وجه أمي، وقد يصل به الأمر إلى ضربها حتى إنها كانت تضطر أحيانًا للنزول

للشوارع لسؤال الناس، تحولت قصة حياتنا لأحزن قصة، ما نمسي فيه من الخوف منه نصبح فيه، وليس لدينا من الأقارب مَن يرضى التحدث إليه أو السيطرة عليه، لم يكن لنا أحد غير الله نلجأ إليه، حدثت أمي عن الاستغفار والحوقلة، وكيف أنهما كما رأيت في كثير من المنتديات والمنشورات لهما تأثير السحر في حل أي مشكلة، استمررنا على تلك الحال شهورًا، وهو لا يزال على حاله لم يتغير، ونحن نعاني ونصبر وأقول لأمي: لعله اختبار من الله لنا في صدق لجوئنا. وسبحان الله! بالفعل وبعد وقت مرض أخي بقرحة في المعدة، الأمر الذي جعله يتألم ويبتعد عنها تمامًا، وبعد أن ابتعد عنها أفاق من تأثيرها، وحدثناه عما كان يفعله فينا وهو تحت تأثيرها، فتغيرت أفكاره، وهداه الله والتزم بالصلاة، وأصبح إنسانًا آخر غير الذي كنا نراه وقتها، ورده الله إلينا أخًا بعد أن فقدنا الأمل فيه!

وهذه أربع قصص استغفار للشخص نفسه!

القصة الأولى: لدي تجارب كثيرة مع الاستغفار، كنت في الصف الثاني الثانوي وعندي مرض نادر وليس له دواءٌ، أعيش على المسكنات بأنواعها، كنت أعاني مشكلةً في القلب، دعوت الله كثيرًا لكيلا أستمر في أخذ هذه الحُقن المسكنة؛ لأنها متعبة جدًّا، ولا أستطيع التحمل، وهذه الحقن يجري قبلها اختبار لقبول هذه الإبرة على جسدي، وكان كل مرة جسدي يقبلها، إلى أن جاء اليوم الذي استغفرت الله كثيرًا، وذهبت إلى المستشفى لعمل اختبار الحقن، والغريب أن الاختبار فشل، ظلوا في المحاولة مرات عديدة، وفي أثناء هذا الوقت أقوم بالاستغفار والحمد

لله، رحمني الله من هذه الحقن، والغريب في القصة هو رفض جسدي لها بعد أكثر من سنة ونصف من أخذها!

القصة الثانية: كنت أتمنى أن يكون معي هاتف محمول، وكنت في الثانوية العامة ولم أستطع أن أطلب من والدي مالًا لكثرة مصاريف الدروس الخصوصية، نزلت من بيتي صليت الجمعة وظللت أستغفر الله كثيرًا، وأدعو كثيرًا. وقسمًا بالله قبل أذان المغرب اشترى لي والدي هاتفًا محمولًا جديدًا. كل ما في الأمر هو اليقين!

القصة الثالثة: وأنا قادمة من عملي وفي أثناء الطريق تلَفَت أشياء كثيرة متعلقة بعملي، استغفرت الله كثيرًا حتى وصلت إلى البيت، والحمد لله استطعت إصلاح الأمر على الرغم من استحالة ذلك!

القصة الرابعة والأعجب لي: أني كنت أحلم بسيارة وكان لدي مبلغٌ قليل، وكنت أبحث عن سيارات موديلات قديمة تكفي المبلغ الذي لدي، استغفرت الله كثيرًا، واشتريت سيارة موديلًا حديثًا عنها بكثير، ذلك لتعلموا أن الاستغفار يغير الأقدار!

حصلت على شقتي بأقل من سعرها!

اليوم حدث لي أغرب موقف في حياتي كان ميعادي مع البنك لكي أدفع الجزء الثاني من مقدم شقتي، وكان البنك طالبًا سداد خمسة وعشرين ألفًا، وعند الدفع قالوا لي: يجب عليَّ دفع تسعة آلاف وخمسمائة جنيه فقط لا غير، صُدمت وقال لي: ستدفع أقساطًا كل شهر لمدة عشرين سنة وأيضًا أعطاني أعلى دعم، حتى إن كل مَن يعرف مِن المُقدِّمين معي على الشقق أن صافي ثمن الشقة أقل بكثير منهم يُدهَش، وأيضًا القسط الشهري أقل منهم، «للعلم وأنا في طريقي للبنك كنت أستغفر الله بنية

أخرى وليس بنية الشقة أصلًا، ولقد أكرمني الله بأكثر مما أتمنى الحمد لله».

واليوم أعطاني الله ثقة ويقينًا أن الدعوة التي أتمناها تتحقق، وستتحقق عن قريب هو قال: أنا عند حسن ظن عبدي بي. الله كريم، كنت أتابع منشورات الاستغفار، وكنت أرى المعجزة من القصص، ولم أكن أتخيل أن يومًا من الأيام سأكون مثلهم، فعلًا سبحان الله الاستغفار والصلاة على النبي سحر، وعندي أمل بأن أمنياتي كلها ستتحقق بإذن الله لا تقنطوا من رحمة الله.

زوجي كما تمنيته بالتفصيل!

قصة لطيفة جدًا.

تقول صاحبة القصة: لا تضحكوا مما سأقول، ولكن قسمًا بالله هذه حقيقة، لقد جربت الاستغفار بنية أن يرزقني الله بزوج بمواصفات محددة أريدها فيه، وكنت متشككة في أنه يأتي بهذه المواصفات تحديدًا، أعني قد يكون زوجًا صالحًا، ولكني كنت أريده زوجًا يتسم بمواصفات، أنه مهندس ووسيم وطويل ويصلي الفرض ويتقي الله فيَّ!

والحمد لله تمت خطبتي منذ 7 شهور لمهندس ميكانيكا به كل هذه المواصفات التي طلبتها تحديدًا بشكل أدهشني، كانت صيغتي في الاستغفار «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته قدر ما أستطيع» عوّدي نفسك أن تقوليها أختي وأنتِ تعملين في المطبخ، أو مشغولة بأي شيء، وسيرزقك الله بأكثر مما تتخيلين وتحلمين به.

من حيث لا أحتسب!

قبل رمضان وقعت لي مشكلات وظروف مادية صعبة جدًّا، وكنت بمفردي في هذه الظروف، وكنت أموت، ولم يكن أمامي غير اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، أصبحت أصلي بعد أن كنت لا أصلي، وأدعو وأستغفر، وجاء رمضان وانتهى، وجاء أيضًا العيد قلت في نفسي: إن الله ليس راضيًا عني، فزدت على ذلك طاعة قيام الليل، وأظل أكلم ربي حتى كدت أفقد الأمل في تغيير أموري، قلت: لعل الله يُحدِث بعد ذلك أمرًا، وسبحان الله! بعد عيد الفطر كل شيء تمنيته تحقق، والحمد لله! الله كريم ولا تزال هناك دعوة واحدة فقط منتظرة تحقيقها دعواتكم.

ولأنه خفي جعل قواه الخفية أقوى من المادية!

لعلك لا تراه ولكنك دائمًا ما ترى ما يدل عليه وذلك لحكم وعبر أهمها: أن يعظم داخلك معاني الإيمان بما لا تراه، ولا تكن ماديًّا مثل بني إسرائيل، ولا تؤمن إلا بما ترى أو تلمس فقط!

ألا ترى معي أن قوة الله الخفية أهلكت أقوامًا ذوات أعظم قصور وأقوى جيوش وأقوى حضارات في التقدم؟ ألا ترى أن دعوة من نوح كانت سلاح هلاك على من كفر من أمته؟ ألا ترى أن المسلمين بالقياس المادي في إحدى الغزوات تعدادهم أربعة آلاف جندي يهزمون مائتي ألف من الرومان؟ ما زلت أذكر هذا الرجل الذي جلس مع شيخ يعجب لقصره العظيم المهيب فقال له: أتعرف يا شيخ هذا القصر؟ والله بنيته بالاستغفار! (قوى خفية أقوى من المال)!

وهذه السيدة التي حملت بعد 11 عامًا كان يخبرها فيها كل الأطباء أن حملها مستحيلٌ، ولكن حملت بقوة وبركة استغفارها وصلاتها على



الحبيب (قوى خفية أقوى من التقدم الطبي والعلمي). وهذه الفتاة التي أرسلت إليّ تشكو السرطان الذي أفنى الكثيرين من البشرية، ثم عادت تبشرني أنها شُفِيت منه بهذه القوى الخفية التي تسمى: قوة ذكر الاستغفار وقيام الليل والحوقلة (قوى خفية أقوى من المرض). من حكمته أنه يعلمك أن الدعاء يغير الأقدار والذكر مصباح سحري ذو شأن يستدعي قوة الله العظيم، القوي معك فلا يغلبك أمر في هذا العالم الضعيف، جوار قوته هذه المعاني تعلمها وركز عليها أفكارك ومشاعرك في كل أمور حياتك كاملة، وذكر نفسك أنك دون الله لا شيء، وبالله فأنت حيزت لك الدنيا بما فيها من خيرات وقوى، أنت به أقوى لو صدقت به وآمنت.

«اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا»! «لِم أراك اختنق قلبك حتى إنك تشعر أنك تحتضر؟ والله إن الكريم القادر ما بين غمضة عين وانتباهتها وبدمعة صدق توبة واحدة منك فقط تسقي بها قلبك، تلك الدمعة التي يراها الله وحده ولا يراها الناس في تلك الغرفة المغلقة، سيحيي الله بها قلبك كما يحيي الأرض التي شققتها قسوة معاصيك».

تفكر معي أنت مم تتكون؟ أنت تتكون من جسد وروح، «الجسد» هو من طين وماء، ولكي يحيا له غذاء واحتياجات لتستمر حياته من مأكل ومشرب ومأوى ودواء، وله قلب عضوي ينبض ليضخ الدم في كل شرايينه وكل ذلك لضمان استمراريته أليس كذلك؟

أما عن «الروح» فهي من الله! يقول الله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾. «روحك هذه من خالقك ولذا «فإنها تمرض بالبعد عنه؛ لأنها منه» تذكر هذه الكلمات»!

هل سألت نفسك يومًا: ما الغذاء الذي تعيش عليه روحك؟! فالروح أيضًا تمرض وتموت مثل الجسد تمامًا إن لم تأخذ غذاءها ودواءها اليومي، ولها قلب معنوي ينبض بالمشاعر!

غذاء الروح كل ما يقربها من الله «فهي تشتاق إليه لأنها منه»! أما دواؤها فالاستغفار من الذنوب المهلكات! غذاء الروح قراءة قرآن يكلمك فيه الله، ويلمس قلبك الذي كاد أن يتشقق من قسوته، ليطمئن به، يطمئن بالقرب من صانعه، ويزهر من جديد. غذاء الروح صلاة على النبي تستنزل من ربك رحمات كالمطر تغرقك وتغسل كل شيء داخلك، فتغفر ذنبًا وتفرج همًّا! غذاؤها ركعتان تقوم بهما بروحك ليس بجسدك، فتبث فيها كل شكواك لربك القريب الذي هو أقرب لك من حبل وريد قلبك، أقرب لك حتى من أمك وأبيك، فتقوم بعدها وقد شفي قلبك، تقوم وقد أزال دمعتك التي هي أغلى عنده من غلاوتها على بني البشر!

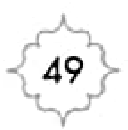
«نعم دمعتك تلك التي تهون على غيره من البشر هي في الحقيقة غالية عنده، وقد يغير الكون من أجلك لها لو أنها صادقة نادمة على بعدها عنه».

أخبرني دون الله كيف تعيش الروح وهي منه؟!

الجسد لأنه من الأرض ومن طينها يخلد إليها ويرتاح، ولكن الروح من السماء، لذا فإنها لا ترتاح ولا تحيا من جديد إلا إذا ارتقت إليها.

لذا قالها النبي ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» هل ترى مدى الترابط بين الذكر وإحياء كل شيء فيك وفي حياتك؟!

وقال الله: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ



﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [سورة الأنعام]. نعم، فالذاكر الله يحيي روحه وقلبه وكل أمور حياته.

مشكلة أغلبنا أنه اهتم بغذاء الجسد بكل أنواع الشهوات، مأكل وملبس وشهوة جنسية وفخامة في البناء، وكل ما شاء حتى أنساه ذلك غذاء روحه، فمرضت ووصلت ببعضنا أنها الآن تحتضر!

فهلا أحييت روحك من جديد! هلا أحييت الأمل داخلك! هلا أضأت هذه الظلمات التي ملأت أركانك! وأبشر بهذه البشرى:

يقول تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [سورة الحديد].

واعلم أن الله ما غضب على عبد قدر غضبه على عبد استعظم ذنوبه جوار واسع مغفرة الله ورحمته وكرمه وعفوه، فلا تيأس أبدًا من رحمة الله.

سيحييك من جديد، سيغفر لك أعظم الذنوب، سيرحم ضعفك ونقصك! سيعفو عنك لأنه عفو حيي كريم، سيفرج كل هم؛ لأنه قادر ويقضي كل حاجة، ويحقق كل دعوة؛ لأنه مجيب.

كل ما تحتاج إليه لذلك خطوة صدق، تبدأ بتوبة، ثم لزوم ذكره الذي سيعينك على ذلك، وبعدها تفتح لك الدنيا بخيراتها وكنوزها، وتتمنى على الله ما تشاء، بل تنال من بعدها الجنة!

فما ظنكم برب العالمين!

ذاك الشعور اليائس المحير بشكل مؤلم في أعماق روحك التي أصبحت كالبيت المتهالك، الذي كاد أن يؤول للسقوط في بئر الكفر بكل شيء. روحك التي ما عادت تتحمل أكثر، وحديث نفس لطالما هربت منه مرارًا، وذلك لأنك لا تجد له إجابات!

«لماذا تفعل ذلك معي يا رب؟! هل أنت تكرهني كما تخبرني وساوسي؟!».

أم أنك كما يخبرنا الشيوخ الأجلاء تحبنا، لذا فأنت تبتلينا لتكفر عنا سيئاتنا أو ترفع درجاتنا؟! ولماذا أصحاب الفجور أراهم ممتعين وهم أصحاب ذنوب إن كان أصحاب الذنوب يعذبون بذنوبهم؟!

أسئلة عديدة وتزداد تعددًا على روحك حتى إنها أصابها إعصار منها فيه نار فاحترقت، ولنطفئ كل هذه الوساوس ونحولها بالتعمق في العلم لبرد وسلام تدبر معي...

مشهد لا أنساه

لما دخل النبي مكة بعد إيذائه بقسوة وحروب كفار قريش له بكل شراسة شامخًا منتصرًا، قال قولته الشهيرة: «ماذا تظنون أني فاعل بكم؟!» قالوا: «أخٌ كريم وابن أخٍ كريم». قال: «فاذهبوا فأنتم الطلقاء».

لحظة! أنا لم يشغلني من ذاك المشهد ما اعتقدت، لقد أخذني تفكيري لتدبر آخر، إذا كانت هذه هي معاملة نبي الله وبعد إيذاء وحروب شرسة عليه وعلى دين الله من هؤلاء العباد له، كان رغم ذلك كله من رحمته وكرمه عند حسن ظنهم.

«إذا كانت هذه معاملة نبي الله، فما بال معاملة الله وهو أرحم من نبيه وعبده بالعباد»!

لذا أخبرني أخي بصدق من أعمق نقطة في قلبك «ما ظنك برب العالمين»؟!

أتعرف لو أن أحدهم لديه سيارة ماذا تعتقد أنه سيكون أهم جزء فيها؟

الإجابة: «محرك السيارة» لأنه دونه هذه السيارة ليس إلا قطعة من الحديد لا فائدة منها صحيح؟!

كذلك حسن الظن بالله الذي على الرغم أنه قوى خفية، فإنه هو «محرك كل حياتك»، وهو في الحقيقة من أكثر العبادات القلبية التي طالما أهمل بعضٌ من التدبر التفكر والبحث في فهمها عن نفسه بعمق، مع أنه محور تحريك أمور حياتنا كلها للأفضل أو للأسوأ!

ألا تؤمن؟!

ألا تؤمن أن لله في هذا الكون قُوى خفية لا نراها بأعيننا؟! للأسف كثير منا لا يؤمن بها، بل يؤمن فقط بإشارات شبكات التليفزيون التي لا يراها وبسببها عليه المسلسلات! يؤمن فقط بإشارات شبكات الهاتف المحمول التي لا يراها، ولكنه يمكنها بمكالمة هاتف واحدة تحريك دول وهدم دول، ويؤمن أنها قوة خفية لا يستهان بها أبدًا.

ونعود لنشكو: ما الذي عسر علينا أمور حياتنا وتسبب في همومنا؟!
«أنت المشكلة» تضيقها على نفسك بسوء ظنك بالله، هل تذكر عندما قلت لك: «إنني اكتشفت أنني أنا المشكلة»؟! الأمر يحتاج إلى أن تأخذه بكل جدية، وتطبق ذلك في حياتك وتحركاتك وتتذكره، فوالله إن أفكارك السلبية أو الإيجابية أقوى من تحركاتك المادية من عمل أو دراسة أو بحث عن زوجة، وهي المحرك الأساسي لكل مصيرك وأحلامك وأقدارك، وليس معنى ذلك ألا تأخذ بالأسباب، ولكن طبق بحياتك معنى التوكل «أخذ بالأسباب + الاستعانة بالله بحسن ظن قوي» ولا تنقص أيًا من عناصر المعادلة، فيصيبك عدم التوفيق. (ولنا في معنى التوكل حديث مفصل فيما بعد).

كانت روحي متعطشة لهذه القصة وهذه الإجابة الشافية!

ذهب النبي -ﷺ- إلى أحد الشباب وهو على فراش الموت، فقال له: «كيف تجد نفسك؟» فقال الشاب: «والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي».

يا لها من مقولة هزتني كما لو كانت روحي متعطشة لإجابة لها، هي بالضبط ما يجول في قلبي وقلبك حين نرجو الله في أمر «إني لأرجو الله» بكرمه ورحمته ومحبته وخيريته، ولكن دائمًا ما يعترض رجائي ذاك الهاتف المؤلم، «وإني أخاف ذنوبي» ذاك المانع الذي لطالما بنيناه بأيدينا، وخشينا أن يقع علينا، أو يمنع عنا مداد الخير، إني أخاف أن تمنع ذنوبي رحمته عني، إني أخاف ألّا يكرمني الله بسببها يا رسول الله، أنت لا تدري! فأنا صاحب غدرات وفجرات، كم مرة تبت وعدت ثم تبت وعدت! بالمئات، وغدرت بالعهد حتى إني أستحيي أن أطلب منه قضاء

حاجة أو إجابة دعاء أو تفريج هم، أنا أعلم من داخلي أنه أصابني بشؤم ذنوبي.

يا رسول الله، لدي صراع هشمني من الداخل بين ما أعلم عن الله من خير، وما أعلم عن نفسي من شر!

وانظر معي إلى «الإجابة الشافية» التي قد تجعلك تنفجر بالبكاء من رحمة الله وكرمه ورفقه.

رد عليه رسول الله فقال: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف». انظر إلى رحمة الله ومغفرته وعفوه وكرمه، أردد لك قول النبي؛ لعله يهز كيانك فيتحرك داخلك شعور «إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف»!

هل هذا رب تيأس من رحمته رغم معصيتك أو تقصيرك؟! أعود لأذكرك يرعاك الله وأكرر عليك لتحفظ هذا المعني في قلبك: إن الله «يعاملك بما هو أهله» من المغفرة والرحمة والكرم، وليس ما أنت أهله. خلقك خطَّاءً مستمرًّا في الخطأ وهو يعلم، وجعل لك حماية وهي الاستغفار، فلو أنك تخطئ ملايين المرات، وتحدث لكل ذنب توبة واستغفارًا صادقين بندم وعزم على عدم العودة، ولو عدت بعدها ملايين المرات لضعف منك، ولكن علم الله منك وقت توبتك أنك كنت صادقًا في التوبة، وأنك عندما عدت للذنب عدت لضعف وليس لإصرار منك عليه، أو استغفار مزيف بنية العودة إلى الذنب وقت استغفارك، فإنك بذلك حققت ما يريد الله منك، فلا تخف ولا تحزن وأبشر.

والله ما علمت عن الله إلا كل ما يدهش قلب وعقل البشر، لو أنه علم عنه وتفكر. يقول تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، إنك ما

دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي»، استشعِر معي كلمة «ولا أبالي»، نعم فالله لا يبالي بمعاصينا إن تبنا لا نضرّه بها، ولا حتى ننفعه بتوبتنا، ولكنه يفرح بها؛ لأنه محب لنا أكثر من آبائنا وأمهاتنا «يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة» هل بلغت ذنوبك ما بلغت حتى إنها لو جمعت لمست عنان السماء في ارتفاعها؟! هل بلغت قدر حجم الأرض في ثقلها في ميزان؟! وإن كان لو أنك فقط أتيت الله تائبًا لا تشرك به شيئًا غير مصر على ذنب معين «أي تنوي فعله مرة أخرى» مستغفرًا بخشوع نادمًا من القلب عليه، لأتاك بقراب الأرض مغفرة تغرقك رحمات فتغفر ذنوبًا وتحقق هداية وتفرج همًّا وتقضي حاجة وتريح قلبًا وتهدئ روحًا.